يفعل الهنادك وصوفية العجم كما يقول إقبال، بل لا تفنى الذاتية في الله تعالى وليس من الخير السعي إلى إفنائها فيه[1].

الذات وموقفها الإيجابي من الحياة:

آمن إقبال بشخصيته أشد ما يكون الإيمان، ولكنه لم يكتف بأن يؤمن بنفسه، ثم يكتفي بهذا الإيمان قانعًا زاهدًا في إحياء هذه الشخصية في الناس جميعًا، وإنما كان إيجابيًا. كان حريصًا أشد الحرص على أن يؤمن بنفسه، وأن يحمل الناس على أن يؤمنوا به، أن يؤمن بشخصيته ويحمل الناس، لا في باكستان وحدها، ولا في العالم الإسلامي وحده، بل في العالم الإنساني كله.

آمن بأن له وجوده الفردي الخاص، وبأن هذا الخير الذي يذيعه في الناس والذي يريد أن يملأ به الأرض يجب أن يصدر عنه هو من حيث إنه فرد مستقل كائن خاص ممتاز عن غيره، يريد الخير ويصدر مريدًا عامدًا لا كما يصدر الضوء عن السراج دون أن تكون للسراج فيه إرادة، بل كما يصدر الضوء والنور عن الله، لأن الله يريد أن يملأ الأرض وأن يملأ العالم ضوءًا ونورًا.[2]

والذات عند إقبال لها الدور الإيجابي في الوجود والحياة ولكن هناك العديد من العقبات التي تعترض طريقها، وأشد العقبات في طريق الذات المادة أو الطبيعة، ولكن هذه الطبيعة ليست شرًا كما يقول حكماء الأشراق، بل هي تعين الذات على الرقي.

(1) نفس المرجع: نفس الصفحة.

(2) عباس العقاد: مقال «فريضة إسلامية» ضمن مقالات لكبار الكُتاب، الناشر سفارة باكستان بالقاهرة 1952م، ص40.

فـإن قواها الكامنة تتجلى في مصادمة هـذه العقبات، و إذا قهرت الذات الإنسـانية العقبات الإنسـانية بلغت منزلة الاختيار وخلصت من قيود الجبر ونالت الحرية الكاملة[1].

ودائمًا يربـط إقبال بين وجود الذات وحريتها برباط وثيق، هذه الحرية التي هي ملاك الذاتية، والتي تتيح لنا القوة على الحياة والتسلط على الطبيعة وهي التي تجعل الفرد الموهوب لا يقف بجهاده في حدود شـخصيته، بل يبذر جهده للارتقاء بمجتمعه عن طريق الدعوة إلى الحق، دعوة يستهين في سبيلها بكل تضحية، لأن التضحية في سبيل الحق تزيده نصرًا وتعزيزًا.

الذات وعلاقتها بفلسفة الدين عند إقبال:

أشرنا في ثنايا بحثنا إلى أن إقبال قد وقف على الثقافتين الإسلامية والغربية وتأثـر بهما، و إن كان نفسـه يحاول أن يدرأ عن نفسـه تهمـة التأثر بالفكر الغـربي، إلا أن المتأمل يجد أن مفكرنا قد تأثر بطرف ما بهذا الفكر، صحيح أننا وجدنا أنه قدم لنا فلسـفة قرآنية مميزة، إلا أنه لم ينج من التأثر بالحضارة الغربيـة سـواء في النهج أو في بعـض الأفكار التي تخدم فكرته الإسـلامية، فكما استطاع أن يوظف مفهوم «خودي» الذات ويخرجه من مفهوم الأنانية (كما هو في الأصل) إلى الإيجابية (في فكره)، استطاع أيضًا أن يوظف مختلف الأفـكار والمفاهيم التي اسـتعارها من احتكاكه في الثقافـة الغربية توظيفًا جديدًا، ولعل هذا سمت التفرد والعبقرية.

فإقبال يبني فلسـفته الدينية على أساس أن الإنسان خليفة الله في الأرض،

(1) د. عبد الوهاب عزام: محمد إقبال ص16.